AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

AL-BASIRAH البصيرة
Journal Homepage: http://e-journal.um.edu.my/publish/albasirah/

الجدل في القرآن الكريم : دراسة تفصيلية في إثبات البعث من خلال الآيات ٤٨-٨٣ من سورة يس

نور الله كورت[١]، دلال النصر الله[٢]

الملخص

إن موضوع الجدل من المواضيع التي لها أهمية كبرى في عصرنا الحاضر، بعدما مُلِأت قنواتنا الفضائية ببرامج جدالية تكاد لا ترى منها فائدة ملموسة، وأصبح الجدال في كل قضية حتى في المسلّمات، ولا شك أن الجدل ليس أمراً طارئاً على البشر في وقتنا الحالي بل هو من طبيعتهم التي فطروا عليها، قال تعالى: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً[٣])، كما أنه ليس بطبع خاص بالبشر دون غيرهم بل دار بين الله سبحانه وبين الملائكة في خلافة آدم عليه السلام في الأرض، والذي يعبر عنه بالحوار الرباني، إلا أن الجدل في وقتنا الحاضر أصبح أمراً مَعيباً لكثرة متخذيه على غير وجهه الصحيح والمحمود، فصار يدافَع فيه عن الباطل بغير برهان ولا حجة مبتعدين كل البعد عن آدابه الصحيحة التي بينها القرآن الكريم وطرقه المبهرة التي يُتوصل بها إلى الحق، لذا اخترنا تناول موضوع الجدل في القرآن الكريم، مبينين لأنواعه، موضحين لبعض طرقه في دراسة تفصيلية لجدل القرآن في إثبات البعث من خلال الآيات القرآنية [٤٨-٨٣] من سورة يس، ولفهم موضوع الجدل في القرآن أكثر توقفنا عند معانيه اللغوية والاصطلاحية، ومن ثم التفريق بين الجدل وبين الألفاظ المشابهة له كالمحاجة والمناظرة والمباحثة والمكابرة والمماراة والمحاورة.

الكلمات المفتاحية: الجدل في القرآن الكريم، حقيقة الجدل، الجدل والألفاظ المشتركة، أنواع الجدل، الإنسان والجدل.

١ نور الله كورت ، الأستاذ الدكتور، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، خالدية، جامعة الكويت
٢ دلال النصر الله ، الأستاذ المساعد الدكتور، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، خالدية، جامعة الكويت
٣ الكهف: ٥٤.

المقدمة

إن علم الجدل يعتبر من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، ولولاه لما قامت حجة ولا ظهرت محجة، ولا عُلم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم. وإن الإنسان قد فطر على حب المجادلة والمناقشة قال تعالى (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً[٤])، فأقر القرآن هذه الطبيعة البشرية، ولهذا عرض قصصاً للجدل من قديم الزمان، كجدال الملائكة لله عز وجل في خلافة البشر للأرض، وهو ما يعبر عنه بالحوار الرباني الذي دار بين الله سبحانه وبين الملائكة عندما أخبرهم سبحانه بأنه جاعل في الأرض خليفة قاصدا به آدم عليه السلام. وكجدال صاحب الجنتين، والجدال المتبادل بين الأنبياء وبين أقوامهم، وغيره من أنواع الجدال، ووجه هذه الفطرة إلى الطريق الصحيح في الجدل، وبين لها آداباً وطرقاً محمودة قائلا: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَن[٥]) وقال: (وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتابِ إِلّا بِالتِي هِيَ أَحْسَن[٦])، ونهاهم عن الجدال بالباطل بغير حجة ولا برهان فقال: (وَقَالوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون[٧]).

إن القرآن الكريم قد تفنن في جداله مع خصومه، من منكري البعث ومعارضي التوحيد، ساعياً إلى إرشاد الناس إلى الحق والهدى، مخاطباً طبائع البشر بمختلف مستوياتهم ومداركهم، ونحن إذا سمحنا لأنفسنا أن نتكلّم عن الجدل في كتاب الله، فإنما نذكره على وجه التقريب و التمثيل، لننهل ولو بالقليل من كتر فوائده الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، فالجدل القرآني في بحر علم الجدل لا يضاهى، يقول أحد الباحثين العرب: "نص علماء اللغة صراحة على أن القرآن سيد الحجج"[٨]، وقد ابتعدنا في بحثنا هذا كل البعد عن عرض موضوع الجدل المتشرب بأسلوب الفلاسفة والمتكلّمين وآرائهم؛ لأنهم عرضوه في قالب جاف معقد، ونحينا المنحى السهل الخضل المعشب لتقريب الدلالات المجردة إلى ذهن القارئ وتوضيحها، كما فعل القرآن الذي تفرد بمخاطبة العقل والقلب معًا، ذلك لأنّ هدف القرآن الأساسي هو الدعوة والهداية والإقناع والبيان.

هذا، وقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، فشرعنا في المبحث الأول ببيان معنى الجدل، ثم بينا في المبحث الثاني: الجدل في القرآن الكريم، أما الخاتمة فهي كالعادة خصصناها لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا وتعايشنا مع البحث، سائلين الله التوفيق والسداد.

---

٤ الكهف: ٥٤.

٥ النحل: ١٢٥.

٦ العنكبوت: ٤٦.

٧ الزخرف: ٥٨.

٨ سعيد فاهم، **معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، السور السبع الطوال أنموذجاً–دراسة دلالية معجمية–**، جامعة مولود معمري–الجزائر، ٢٠١١م، ص: ٣٧.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

الجدل في القرآن

المبحث الأول: معنى الجدل

أولا: الجدل لغةً واشتقاقه

جدل، الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[٩]. وللعلماء أقوال متعددة في اشتقاق الجدل ومعناه اللغوي، من هذه الأقوال: **قيل** هو من الجَدْل: شدة الفتل، وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلًا إذا شددت فتله وفتلته فتلا محكماً[١٠]، فيكون معنى الجدل الشد والإحكام. يقول أبو خراش الهذلي[١١]: إذًا لأتاه كلُّ شاكٍ سِلاحُه. يُعانِشُ يومَ البأسِ ساعِدُه جَدْلُ. فقوله: جَدْل: أي مجدولة محكمة، وأيد هذا الاشتقاق الطوفي حيث يقول: "إن كلا الخصمين يشتد على خصمه ويضايقه بالحجة التي اجتهد في إحكامها"[١٢] فالطرف الأول يفتل صاحبه عما يعتقد إلى ما يعتقده هو، وبالعكس. **وقيل** هو من الجَدْل: أي الصَّرْع، وجَدَلَهُ جَدْلًا وجَدَّلَهُ فانْجَدَلَ وتَجَدَّلَ: صَرَعه عَلَى الجَدَالة وَهُوَ مَجْدُول، وَقَدْ جَدَلْتُه جَدْلًا، وأَكثر مَا يُقَالُ جَدَّلْتُهُ تَجْدِيلًا، وَقِيلَ للصريع مُجَدَّل لأَنه يُصْرَع على الجَدَالة[١٣]، وفي الحديث عن العرباض بن سارية الفزاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته..."[١٤] قال ابن منظور: "المُنْجَدِل الساقط، المُجَدَّل المُلْقى بالجَدَالة، وهي الأرض"، ومنه حديث ابن صياد: "وهو منجدل في الشمس"[١٥]، فيكون المعنى كأن كل مجادل يطرح خصمه على الأرض إذا صرعه وغلبه. **وقيل** الجَدَل مصدر بمعنى اللَّدَدُ في الخصومة والقدرة عليها، جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وجِدَالًا، وَرَجُلٌ جَدِل ومِجْدَل ومِجْدال: شَدِيدُ الجَدَل، ويقال: جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه مجادلة وجدالا، والاسم الجَدَل، وهو شدة الخصومة[١٦]، وفي الحديث عن

---

٩ ابن فارس، أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١٩٧٩م، دار الفكر، العدد: المجلد: ١، ص: ٤٣٣، مادة (جدل).

١٠ ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، بيروت، دار صادر، العدد: ١١، ص: ١٠٣، مادة (جدل).

١١ ديوان الهذليين، **الشعراء الهذليون**، ١٩٦٥م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مجلد:٢، ص:١٦٥.

١٢ عائشة يوسف المناعي، **الجدل القرآني عند نجم الدين الطوفي**، ص: ٣٦.

١٣ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد: ١١، ص: ١٠٤، مادة (جدل).

١٤ ابن حبان في صحيحه كتاب من صفته صلى الله عليه وسلم وأخباره، باب ذكر كتبة الله جل وعلا عنده محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رقم [٦٤٠٤]، مجلد: ١٤، ص: ٣١٣، قال الألباني في صحيح موارد الظمئان إلى زوائد ابن حبان: "صحيح لغيره"، مجلد: ٢، ص: ٣٠٥.

١٥ الترمذي في سننه كتاب أبواب الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن الصياد، رقم [٢٢٤٨] ، مجلد: ٤، ص: ٨٨، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي مجلد: ٥، ص: ٢٤٨.

١٦ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد: ١١، ص: ١٠٥، مادة (جدل).

أبي أُمَامَةَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"، ثم تلا هذه الآية: (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون[١٧])[١٨].

قال القاري: "والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم، وطلب المعجزة منه عناداً أو جحوداً". **وقيل** "الجدل هو مقابلة الحجة بالحجة"، وقيل: "المراد هنا العناد، والمراء في القرآن ضرب بعضه ببعض لترويج مذاهبهم وآراء مشايخهم من غير أن يكون لهم نصرة على ما هو الحق، وذلك محرم، لا المناظرة لغرض صحيح كإظهار الحق فإنه فرض كفاية[١٩]". ففي هذا المعنى بيان أن المجادلين متخاصمون متنازعون في أمر ما. **وقيل** الجَدَل مصدر بمعنى مقابلة الحجة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، ويقال: إنه لَجَدِل إذا كان شديد الخصام، لَمِجْدُول وَقَدْ جَادَلَ[٢٠]، ومنه قوله تعالى: (وَجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَن[٢١])، يفيد أن الجدال مخاصمة بين طرفين كل طرف يريد إقامة الحجة على الآخر. فالمعاني السابقة كلها صحيحة ومتقاربة.

ثانيا: الفرق بين المجادلة والمحاجة والمناظرة والمباحثة والمكابرة والمماراة والمحاورة:

بعد أن عرضنا المعنى اللغوي للجدل وجب أن نتطرق إلى الألفاظ المشابهة لها، كالمحاجة والمناظرة والمباحثة والمكابرة والمماراة والمحاورة، فقد يطلق كل لفظ من هذه الألفاظ على الآخر، لكن هل صحيح أن هذه الألفاظ مرادفة للفظ المجادلة؟ أم تشترك معها في جانب وتختلف في آخر؟ حتى نعرف الجواب لهذا السؤال، يجب أن نوضح معاني تلك الألفاظ السابقة – أي المحاجة والمناظرة والمباحثة الخ – ونقارنها بالمجادلة، وذلك فيما يلي:

١. الـــمُحَاجَّة:

قيل أصل المحاجة من الحج، يقول ابن منظور: "الحج: هو القصد، حج إلينا فلان أي قدم؛ وحجه يحجه حجا: قصده، وحججت فلاناً واعتمدته أي قصدته، ورجل محجوج أي مقصود الحجة، قال المخبل السعدي:

وأشهد من عوف حلولا كثيرة ... يحجون سب الزبرقان المزعفرا[٢٢]".

وقيل أصله من: "الحجة بمعنى البرهان"؛ وقيل: "الحجة بمعنى ما دوفع به الخصم" أو بمعنى " الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج: التخاصم؛ وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ،

---

١٧ الزخرف: ٥٨.

١٨ أحمد في مسنده، كتاب تتمة مسند الأمصار، باب حديث أبي أُمَامَة الباهلي، رقم [٢٢١٦٤]، وابن ماجه كتاب أبواب السنة، باب اجتناب البدع، رقم [٤٨]، مجلد: ٣٦، ص: ٤٩٣، وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه: "حسن صحيح" مجلد: ١، ص: ١٢٠.

١٩ القاري، علي بن محمد، **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار الفكر، بيروت، مجلد: ١، ص: ٢٦٥.

٢٠ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد: ١١، ص: ١٠٥، مادة (جدل).

٢١ النحل: ١٢٥.

٢٢ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد: ٢، ص: ٢٢٦–٢٢٧، مادة (حج) ومادة (حجج).

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً: نَازَعَهُ الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً: غلبه على حُجَّته، يقال: حاجَجْتُه أُحاجُّه حجاجاً ومُحاجَّةً أي غلبته بالحجج التي أدليت بها"[٢٣]، ومنه قول الله تعالى: (وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحآجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدان[٢٤])، قال ابن عاشور في توضيح معنى المحاجة:" والمحاجة مفاعلة متصرفة من الحجة، وهي الدليل المؤيد للدعوى، ولا يعرف لهذه المفاعلة فعل مجرد بمعنى استدل بحجة، وإنما المعروف فعل حج إذا غلب في الحجة، فإن كانت احتجاجاً من الجانبين فهي حقيقة وهو الأصل، وإن كانت من جانب واحد باعتبار أن محاول الغلب في الحجة لا بد أن يتلقى من خصمه ما يرد احتجاجه فتحصل المحاولة من الجانبين، فبذلك الاعتبار أطلق على الاحتجاج محاجة، أو المفاعلة فيه للمبالغة"[٢٥].

نستخلص من المعاني السابقة أن المحاجة تأتي بمعنى الرجوع أو القصد فتكون الحجة أمراً نرجع إليه ونقصده لحاجتنا إلى العمل به، وتأتي بمعنى الغلبة والتخاصم فيكون فيها إلزام الغير بالحجة، وقد تكون بمعنى البرهان والدليل. وتبين لنا كذلك أن معنى المُـحاجّة قريب من معنى المجادلة، حيث يشتركان في جانب التخاصم والغلبة، وأن (البرهان) الذي هو من معاني الحجة يعد من مستلزمات الجدل الممدوح، فلا يستقيم إلا به، ويختلفان في كون المحاجة أو الحجاج عادة يطلق على النزاع والخصام في الباطل، أما المجادلة أو الجدل فقد يطلق على الجدال بالحق أو بالباطل.

٢. المناظرة:

المناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه، والنظير: المثل[٢٦]، يقول أحمد مختار في معجم اللغة العربية المعاصرة: "مُناظَرة مفرد، جمعها مناظرات، مصدر ناظرَ، وهو جدال وحوار ونقاش علميّ، وتبادل في وجهات النَّظر المختلفة يقوم فيه فريقان خصْمان بالدِّفاع عن قضيّة ما أو مهاجمتها"[٢٧]، وهذا هو الخطأ الشائع في عصرنا الحالي، إذ المناظرة ليست مرادفة للمجادلة، فهما يشتركان في وجود طرفين متخاصمين، ويختلفان في أن المناظرة خاصة في كون المتناظرين متماثلين في المستوى والدرجة العلمية والثقافية، بخلاف الجدال.

٣. المباحثة:

قال ابن فارس: "الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدل على إثارة الشيء، قال الخليل: البحث طلبك شيئا في التراب، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر"[٢٨]، قال تعالى: (فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ ...[٢٩])، ويقول

---

٢٣ ابن منظور، **المرجع السابق**، مجلد: ٢، ص: ٢٢٨، مادة (حجج).

٢٤ الأنعام: ٨٠.

٢٥ ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ١٩٨٤هـ، تونس، الدار التونسية للنشر، مجلد: ٧، ص: ٣٢٦.

٢٦ ابن منظور، **لسان العرب**، مجلد: ٥، ص: ٢١٧-٢١٩، مادة (نظر).

٢٧ أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، عالم الكتب، العدد: ٢، ص: ٢٢٣٢، مادة (نظر).

٢٨ ابن فارس، أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، مجلد: ١، ص: ٢٠٤، مادة (بحث).

٢٩ المائدة: ٣١.

أحمد مختار: "المُباحَثة مفرد، جمعها مباحثات، مصدر باحثَ، وهو مُداولة، تفاوض وتبادل رأي"[٣٠]، فتكون المباحثة اشتراكاً بين اثنين في البحث عن شيء ما، ولا يشترط فيها المنازعة والمغالبة، وهذا المعنى بعيد عن معنى الجدال أو المجادلة؛ إذ في المجادلة نقاش بين طرفين يحاول كل منهما إفحام الآخر وإقناعه.

٤. المكابرة:

المكابرة من الكِبْر: وهو العظمة، والكبرياء مثله، وكابرته مكابرة: غالبته مغالبة وعاندته[٣١]، وفي المعجم: "مكابرة مصدر كابرَ، كابرَ على، كابرَ في، وهو منازعة في المسألة العلميَّة لا لإظهار الصَّواب، بل لإلزام الخصم"[٣٢]، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ[٣٣]﴾، فتشترك المكابرة مع أحد نوعي الجدل، وهو الجدل المذموم في جانب المعاندة والنزاع بغير دليل ولا برهان.

٥. المماراة:

يقال: ماراه مراءً ومماراةً ناظره وجادله، تمارى الْقَوْم تجادلوا، وتمارى فِي الشَّيْء شكّ فِيهِ[٣٤]، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى[٣٥]﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً[٣٦]﴾، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقاً[٣٧]" ، قال السندي: "ومن ترك المراء-بكسر الميم والمد أي الجدال-خوفاً من أن يقع صاحبه في اللجاج الموقع في الباطل[٣٨]"، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تماروا في القرآن، فإن مراء في القرآن كفر[٣٩]"، قال صاحب النهاية في غريب الحديث: "المراء: الجدال، والتماري والمماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة، ويقال للمناظرة: مُمَاراة، لأن كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه، كما يمتري الحالب اللبن من الضرع"[٤٠].

---

٣٠ أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مجلد: ١، ص: ١٦٢، مادة (بحث).

٣١ أحمد بن محمد الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت، المكتبة العلمية، المجلد: ٢، ص: ٥٢٣، مادة (كبر).

٣٢ أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مجلد: ٣، ص: ١٨٩٧، مادة (كبر).

٣٣ غافر: ٥٦.

٣٤ إبراهيم مصطفى وغيره، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، مجلد: ٢، ص: ٨٦٦، مادة (مرا).

٣٥ النجم: ٥٥.

٣٦ الكهف: ٢٢.

٣٧ أبو داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، رقم [٤٨٠٠]، مجلد: ٤، ص:٢٥٣، وابن ماجه، كتاب أبواب السنة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم [٥١]، مجلد: ١، ص: ١٩، "وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، مجلد: ٣، ص: ٩".

٣٨ السندي، نور الدين، **حاشية السندي على سنن ابن ماجه**، دار الجيل، بيروت، مجلد: ١، ص: ٢٦.

٣٩ أحمد في مسنده، كتاب مسند الشاميين، باب حديث أبي جهيم بن الحارث بن الصمة، رقم [١٧٥٤٢]، مجلد:٢٩، ص: ٨٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رجاله رجال الصحيح" مجلد: ٧، ص: ١٥١.

٤٠ ابن الأثير، مجد الدين، **النهاية في غريب الحديث**، ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت، مجلد: ٤، ص: ٣٢٢ مادة (مرا).

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

وعلى المعنى السابق يتضح لنا الترادف بين معنيي المجادلة والمماراة فيمن قصر المراء على النقاش والخصومة، والاختلاف بينهما فيمن جعل الشك والريبة من مستلزمات المراء.

٦. المحاورة:

والمُحاورةُ هي مُراجَعة الكلام، يقال حاوَرتُ فلاناً في المنطق، وأَحَرْتُ إليه جواباً، وما أحار بكلمة، والاسم هو الحَوِير، تقول: سمعت حَوِيرَهما وحوارَهما، والمَحْوَرةُ من المُحاوَرة، كالمَشْوَرة من المُشاوَرة، وهي مَفْعلة[٤١]. وفي الحديث: " ولم يَحِرْ إليه شيئاً[٤٢]" أي لم يرجع ولم يرد. والمحاورة لا تشترط فيها الخصومة، ولا يشترط فيها إقامة الحجة على الطرف الآخر، بخلاف الجدل، فإذا كانت المحاورة فيها خصومة ومنازعة وإقامة للحجج والبراهين كانت مرادفة للجدل، وإن لم يكن بها ذلك كانت نقاشاً لا جدلاً، فكل جدال حوار لا العكس.

ومن استعمال الحوار في الخصومة قصة المجادلة لزوجها في الظهار، في قوله تعالى: (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما[٤٣])، وكذا قصة صاحب الجنتين قال تعالى: (قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَهُوَ يُحاوِرُهُ[٤٤])، ثم قابل الناصحُ صاحبَ الجنتين بالدليل وأقام عليه الحجة عليه فقال: (أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّاكَ رَجُلاً[٤٥])، ولم يأت (الحوار) الخالي من الخصومة ومن مقابلة الدليل في القرآن.

والمحاورة المستعملة في لغة الكاتبين في عصرنا لا يكادون يستعملونها في معنى الجدل، وكأن الجدل ليس فردا من أفرادها؛ لأنهم يقصرونه-أي الجدل-على اللدد في الخصومة[٤٦].

وبذلك نرى ألا ترادف مطلقاً بين المجادلة والمحاجة والمناظرة والمباحثة والمكابرة والمحاورة والمماراة-على أحد القولين فيها-، بل كلٌ يشترك مع المجادلة في جانب، ويختلف معها في جانب آخر. والله أعلم.

---

٤١ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، دار ومكتبة الهلال، مجلد: ٣، ص:٢٨٧، (مادة حور).

٤٢ الطبراني في المعجم الكبير، كتاب باب السين، باب سعد بن معاذ الأنصاري، رقم [٥٣٢٧] ، مجلد: ٦، ص: ٧، والبزار في مسنده، كتاب مسند سلمان الفارسي، باب حديث سلمان، رقم [٢٥١٢] ، مجلد: ٦، ص: ٤٨٠، وقال ابن حجر في المطالب العالية: "أصله في الصحيح من حديث ابن عمر عن عمر" مجلد: ٨، ص: ١٨٢.

٤٣ سورة المجادلة: ١.

٤٤ سورة الكهف: ٣٧.

٤٥ سورة الكهف: ٣٧.

٤٦ إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، **الموسوعة القرآنية المعاصرة**، ١٤٠٥هـ، مجلد: ١، ص:١٨٣.

ثالثا: الجدل اصطلاحاً

الناظر في كتب علوم القرآن يجد اختلافاً واضحا بين العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للجدل، ناهيك عن الاختلاف بين المتكلمين والفلاسفة في هذا الباب، لذا ارتأينا أن نعرض بعض هذه التعاريف، مع بيان الزاوية والجانب الذي نحاه واضع الحد عند بيانه لحد لجدل: فمن العلماء من تناول الجدل من حيث أصله كما بين ذلك يوسف العساكر حيث يقول: "قالوا-أي العلماء-: (في الأصل فن الحوار والمناقشة) وقالوا (درة كلامية وبراعة حجاجية) وقالوا (طريقة في المناقشة والاستدلال)"[٤٧]. ومنهم من عرف الجدل بحسب طبيعته كتعريف القطان حيث يقول: " الجدل والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم"[٤٨]، وكذا طوفي-وقد صنف للجدل مصنفا خاصاً-قائلا: "هو رد الخصم عن رأيه إلى غيره" وعرفه بتعريف أشمل فقال: "هو قانون صناعي يعرف أحوال المباحث من الخطأ والصواب على وجه يدفع عن نفس الناظر والمناظر الشك والارتياب"[٤٩].

وتناول ابن خلدون في مقدمته الجدل على أنه علم له آداب وضوابط قائلا: "وأما الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم" وعرفه أيضا بـــأنّه: "معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"[٥٠].

أما الباجي فقد ربط بين تعريف الجدل والغاية منه فقال: "الجدل هو تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه"[٥١]، وكذا السيوطي في الاتقان حيث قال: "هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أهل الكلام"[٥٢]، وكذا تعريف صاحب التوقيف في مهمات التعاريف حيث قال: "الجدال: مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، أو هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب"، ثم قال: "ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم"[٥٣].

ومن الضروري الانتباه إلى أن أصل الخصومة والمنازعة لا يستلزمان عداوة ولا مقاتلة، بل مدارها أساساً على الاختلاف مع الطرف الآخر، لأن ظروف المنازعة ودواعي الصراع يقتضيان تصلباً في الرأي مما يدفع به إلى إقحام كل ما يملكه من الدلائل لكي يفحم به خصمه[٥٤].

---

٤٧ يوسف عمر العساكر، **الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا-دراسة لغوية دلالية-** جامعة الجزائر، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص: ٢٧.

٤٨ القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ص: ٣٠٩.

٤٩ عائشة يوسف المناعي، **الجدل في القرآن عند نجم الدين طوفي**، ص: ٣٧.

٥٠ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص: ٤٥٧.

٥١ الباجي، أبو الوليد، **المنهاج في ترتيب الحجاج**، دار الغرب الإسلامي، ص: ٣٦.

٥٢ السيوطي، جلال الدين، **الاتقان في علوم القرآن**، ١٩٧٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلد: ٤، ص: ١٠٣٨.

٥٣ تاج العارفين، عبد الرؤوف، **التوقيف في مهمات التعاريف**، الطبعة الأولى، ٩٩٠م، القاهرة، عالم الكتب، ص: ١٢٢.

٥٤ العساكر، **الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته**، ص: ١١.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

المبحث الثاني: الجدل في القرآن

أولا–أنواع الجدل في القرآن

يذكر الله سبحانه لفظة (الجدل) وما يتصرف منها في كتابه العزيز في تسعة وعشرين موضعاً، ولفظة (الحجة) وما يتصرف منها في سبعة وعشرين موضعاً، ولفظة (السلطان) أيضاً في ثلاثة وثلاثين موضعاً، الجميع المراد به الحجةُ سوى موضعٍ واحدٍ في الحاقة: (هَلَكَ عَنّي سُلْطَانِيَه[٥٥])، وقيل: المراد به الحجة[٥٦].

إن الناظر لأول وهلة في هذه المواضع القرآنية يجد بعضها يذم الجدل وبعضها الآخر يدعو إليه ويمدحه، مما يوهم التعارض في كلام الله تعالى، وحاشاه أن يكون فيه تعارض وهو الكتاب الذي (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمّ فُصّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ[٥٧]). ولدفع هذا الايهام يجب التفريق بين هذه النصوص وتوضيحها؛ وبيان أقسام الجدل في القرآن.

ولقد قسمه بعض العلماء إلى قسمين: الجدل الممدوح والجدل المذموم، وقسمها آخرون إلى ثلاثة أقسام كالتالي:

١. الجدل الممدوح:

وهو الجدل المفيد، المستحسن، الذي يُقْصَدُ به الحق والرشاد، وقد ورد الجدل الممدوح في القرآن الكريم في موضعين، الأول في قول الله تعالى: (أُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ[٥٨])، والثاني في قوله تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلّا بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ[٥٩]).

فيحتمل أن يقصد بالـــــــ (أَحْسَن) الأظهر من الأدلة، ويحتمل التعجيز عن الإتيان بمثل القرآن، لأنه أحسن الأدلة نظاماً وبياناً، وأكملها حسناً وإحساناً، وأرجحها من الثواب ميزاناً، وأوضحها على اختلاف مدلولاتها كشفاً وبرهاناً، ويحتمل الإصغاءُ إلى شُبههم والرفق بهم في حلها ودحضها، ويحتمل بترك الغلظة عليهم في حال جدالهم لتكون عليهم الحجة أظهر والجحد منهم أنكد وهي سنة الأنبياء عليهم السلام، التي اتبعوها مع الأمم عند الدعوة والمجادلة[٦٠]. ومن ذلك قولهم لنبي الله صالح عليه السلام: (إِنّ هُوَ إِلّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى الله

---

٥٥ الحاقة: ٢٩.

٥٦ السعدي، عبد الرحمن، **استخراج الجدال من القرآن**، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، مطابع الفرزدق التجارية، ص:٤٩-٥٥.

٥٧ هود: ١.

٥٨ النحل: ١٢٥.

٥٩ العنكبوت: ٤٦.

٦٠ السعدي، **استخراج الجدال من القرآن**، ص: ٤٩-٥٥.

كَذباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بمُؤْمنين، قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون[٦١])، وقولهم لهود عليه السلام: (قَالَ المَلَأُ الّذينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِه إنّا لَنَرَاكَ في سَفَاهَةٍ وَإنّا لَنَظُنّكَ منَ الكَاذبين، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ وَلَكنّي رَسُولٌ منْ رَبّ العَالَمين[٦٢])، وقولهم لنوح عليه السلام: (إنْ هُوَ إلّا رَجُلٌ بِه جنّة[٦٣])، وقولهم (إنّا لَنَرَاكَ في ضَلالٍ مُبين، قَالَ يَا قَومِ لَيْسَ بي ضَلالةٌ وَلَكنّي رَسُولٌ منْ رَبّ العَالمين[٦٤])، فلو قابلهم الأنبياءُ بغلظةٍ لنفرت طباعهم، وانصرفت عقولهم عن التدبر لما جاؤوا به من البينات، فلم تتضح لهم المحجة، و لم تقم عليهم الحجة، قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ولَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضّوا منْ حَوْلك[٦٥]).

يكفيك أن تتأمل أمر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لمشركي قريش (وإنّا أَوْ إيّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ في ضَلالٍ مُبين، قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمّا أَجْرَمْنا وَلا نُسْأَلُ عَمّا تَعْمَلون، قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُم يفتحُ بيننا بالحَقّ وهُو الفَتّاحُ العَليمُ[٦٦])، وتفكر بما في هذه الآية من بديع التلطف وغاية التفنن في كسب الخصم عند مجادلته ليرجع إلى الحق، وما فيها من لطائف قيمة ونكات نفيسة، ذكر بعضاً منها الرازي في تفسيره قائلا: "هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها؛ وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذي تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع في الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ، والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصاً في المترلة لأنه أوهم بأنه في قوله شاك ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه: (وإنّا أَوْ إيّاكُمْ) مع أنه لا يشك في أنه هو الهادي وهو المهتدي وهم الضالون والمضلون" وقال: "ثم أضاف الإجرام إلى النفس- أي في قوله (تُسْأَلُونَ عَمّا أَجْرَمْنا) -وقال في حقهم: (وَلا نُسْأَلُ عَمّا تَعْمَلون) ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم وقوله: (تُسْأَلُونَ) و (لا نُسْأَلُ) زيادة حث على النظر وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذاً بجرمه فإذا احترز نجا، ولو كان البريء يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر". وقال في قول الله تعالى (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا ثُم يفتحُ بيننا بالحَقّ وهُو الفَتّاحُ العَليمُ): "أكد ما يوجب النظر والتفكر، فإن مجرد الخطأ والضلال واجب الاجتناب، فكيف إذا كان يوم عرض وحساب وثواب وعذاب... "[٦٧].

---

٦١ المؤمنون: ٣٨-٣٩.

٦٢ الأعراف: ٦٦-٦٧.

٦٣ المؤمنون: ٢٥.

٦٤ الأعراف: ٦٠-٦١.

٦٥ آل عمران: ١٥٩.

٦٦ سبأ: ٢٤-٢٦.

٦٧ الرازي، فخر الدين، **التفسير الكبير**، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مجلد: ٢٥، ص: ٢٠٥-٢٠٦.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

وهذا التلطف والأدب لن تجد له مثيلاً في كتب الفلاسفة وأهل الكلام وغيرهم ممن وضعوا آداب الجدل مستندين إلى عقولهم القاصرة، تاركين بحر كلام الله المعجز الذي لا ينفذ.

٢. الجدل المباح:

وهو الجدال الذي لم يذكره الله عز وجل بسياق مدح ولا ذم، وقد ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، نحو قول الله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها[٦٨]) حيث أخبر تعالى عن مراجعة ومحاورة خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ للنبي صلى الله عليه وسلم في شأن زوجها الذي ظاهَرَ منها، فبين الله عز وجل حكم الظهار من غير أن يصف جدالها بمدحٍ ولا ذمٍ، ومنه قوله تعالى: (فَلَمّا ذَهَبَ عَنْ إبْراهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ البُشْرى يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوط[٦٩]) فقد أخبر الله عز وجل عن جدال إبراهيم للملائكة لما أخبروه بذهابهم لإهلاك قوم لوط، فأخذ يجادلهم وقال كما في سورة العنكبوت (إنَّ فِيها لُوطاً، قَالوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إلّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الغَابِرِين[٧٠])، فلما أكثر من جدالهم قالوا في سورة هود (يَا إبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هذا) -أي عن هذا الجدال والسبب- (إنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإنّهمْ ءاتيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ[٧١])، ومنه قوله تعالى: (يَوْمَ تَأْتِي كَلُّ نَفْسٍ تُجادِلُ عَنْ نَفْسِها[٧٢]) أخبر الله عز وجل عن يوم القيامة (يَوْمَ تَأْتِي كَلُّ نَفْسٍ) سواء نفس مؤمنة أم كافرة، كل يجادل ويخاصم إرادة النجاة، وإن كان السياق فيه وعظ وشيء من الترهيب إلا أنه لم يذكر ذات الجدل بذمٍ أو مدحٍ.

وقد بينا فيما سبق أن بعض العلماء لم يعتدوا بهذا النوع من أنواع الجدل، وأدخلوا بعض مواضعه في القسم الأول-أي الجدل الممدوح-، وبعضها في القسم الثالث-أي الجدل المذموم-، إلا أن المتأمل في هذه المواضع يرى أنها إخبار عن حادثة ما، ولم يذكر ذات الجدال فيها بمعرض الذم أو المدح، فالأولى أن يكون مباحاً.

٣. الجدل المذموم:

وهو الجدل الذي يهدف إلى المنازعة، والذي تسيره الأهواء وحب التصدر والأنانية، المفتقر إلى البرهان ونور البصيرة، المبتعد كل البعد عن إرادة الحق والصواب، وقد ورد في بقية المواضع الأربع وعشرون، كالجدال في الحج كما قال تعالى: (فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الحَجِّ[٧٣])، وقد بين الطبري في تفسيره معنى الجدل في هذه الآية فقال: عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: " الجدال: المراء والملاحاة حتى تُغْضِب أخاك وصاحبك،

---

٦٨ المجادلة: ١.

٦٩ هود: ٧٤.

٧٠ العنكبوت: ٣٢.

٧١ هود: ٧٦.

٧٢ النحل: ١١١.

٧٣ البقرة: ١٩٧.

فنهى الله عن ذلك[٧٤]". وقوله تعالى: (وَإِنّ الشّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنّكُمْ لَمُشْرِكُون[٧٥]) قال البغوي: "أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية (وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنّكُمْ لَمُشْرِكُون)"[٧٦]. وقوله تعالى: (يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنّما يُسَاقُونَ إلى المَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرون[٧٧]) قال الواحدي: "إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه خرجوا لطلب عير قريش، فمنعت قريش عيرها بالنفير فالتقوا وأمروا بالقتال، ولم يكونوا أعدوا له أهبة فشق ذلك عليهم، وقالوا: هلا أخبرتنا فكنا نعد له، وجادلوه طلباً للرخصة في ترك القتال، إذ كانوا رجالة ولم يكن فيهم إلا فارسان فخافوا[٧٨]"، وغيرها من المواضع التي ذكر فيها الجدل على سبيل الذم وهي كثيرة.

ثانيا– دراسة تفصيلية لبعض طرق الجدل في إثبات حقيقة البعث من خلال الآيات [٤٨–٨٣] من سورة يس:

باستقراء ما في الكتاب العزيز من وقائع جدلية، نجد أن القرآن الكريم تفنن في طرق الجدال والمحاجة للكفار والمعاندين، فمن هذه الطرق ما بينته الآيات [٧٧–٨٣] من سورة يس التي تقرر حقيقة البعث، والتي تسبقها مقدمة تمهيدية في الآيات [٤٨–٧٦]. وإليك توضيح ما سبق بشيء من التفصيل:

١. التمهيد لتقرير البعث في الآيات [٤٨–٧٦]:

ذكرنا في مقدمة هذا البحث أن الجدل في القرآن الكريم لا يشابه الجدل عند أهل الكلام، فالجدل عند المتكلمين موجه إلى العقل فقط، مما يجعله يتسم بالجفاف والتعقيد ولا يعطي في الغالب ثمرة إيجابية، لأن اليقين العقلي لا يكفي وحده لدفع الناس إلى الالتزام، إذ لابد من أن يقترن هذا اليقين بدافع من الحب أو الخوف أو الرغبة أو الرهبة، وهذا هو منهج القرآن الكريم الذي لا يفصل دائماً بين الدليل العقلي، والوازع القلبي والعاطفي، ويقرن دائماً الترغيب والترهيب بأدلة العقول والنظر[٧٩]، فلنتأمل بعض هذه الآيات التي مزج الله عز وجل بها بين الترغيب والترهيب رداً على منكري البعث تمهيداً لتقرير حقيقة البعث، **وقد جاء التمهيد على ثلاثة مراحل:**

أ. الرد على قولهم بأسلوبي الترهيب والترغيب في الآيات [٤٨–٦٧]:

---

٧٤ الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مجلد: ٤، ص: ١٤١.

٧٥ الأنعام: ١٢١.

٧٦ البغوي، محيي الدين، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ، بيروت، دار إحياء التراث العربي، مجلد: ٢، ص: ١٥٦.

٧٧ الأنفال: ٦.

٧٨ الواحدي، علي بن أحمد، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، بيروت، دار الكتب العلمية، مجلد:٢، ص: ٤٤٤–٤٤٥.

٧٩ أحمد ادريس الطعان، **منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية**، كلية الشريعة، دمشق، ص: ١٥.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

ذكر الله تعالى قول منكري البعث وسؤالهم التعنتي عن وقت البعث قائلا: (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ[٨٠]) فيبدأ بالترهيب في مشهد تفصيلي دقيق يصف فيه حالهم يوم القيامة وهول ما يقعون فيه من فزع وغبن وندم: (مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ..... وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ[٨١]).

ثم ثنى بالترغيب جذباً لقلوبهم واستمالةً لها بوصف أصحاب الجنة وماهم فيه من نعيم مقيم، وسعادة أبدية، فقال: (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ[٨٢]).

ثم أعاد الترهيب ببيان انفراد المجرمين عن المؤمنين وتمييزهم عنهم فقال: (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ[٨٣]) وقال باستفهام انكاري توبيخي: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ..... أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ[٨٤]) قال أبو بكر الجزائري: "وهذا تقريع وتوبيخ أي أطعتموه وهو عدوكم وعصيتموني وأنا ربكم فلم تكونوا تعقلون عداوة الشيطان لكم، وواجب عبادتي عليكم لأني خلقتكم ورزقتكم وكلأتكم الليل والنهار[٨٥]". فكانت نتيجة طاعتكم للشيطان وعصيانكم وكفركم بالله أن يذيقكم عذاب جهنم وبئس المصير، قال تعالى: (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ..... وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ[٨٦]).

ب. دعوى التأمل والنظر في حقيقة الخلق في الآيات [٦٨-٧٠]:

قرن سبحانه وتعالى الترغيب والترهيب بأدلة العقل والنظر فقال: (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ[٨٧]) قال أبو بكر الجزائري: "أي ومن نطل عمره ننكسه في الخلق فيكون بعد قوته ضعيفاً عاجزاً، (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) أن القادر على ذلك قادر على بعثكم بعد موتكم، فتؤمنون وتوحدون فتنجون من العذاب وتسعدون[٨٨]". إذ إنّ النجاة يوم البعث مقرونة بتوحيد الله عز وجل، وعبادته وحده لا شريك له. ثم إن هذه الحقائق جاءت من لدن

---

٨٠ يس: ٤٨.

٨١ يس: ٤٩-٥٤.

٨٢ يس: ٥٥-٥٨.

٨٣ يس: ٥٩.

٨٤ يس: ٦٠-٦٢.

٨٥ الجزائري، أبو بكر، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، مجلد: ٤، ص: ٣٨٨.

٨٦ يس: ٦٣-٦٧.

٨٧ يس: ٦٨.

٨٨ الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مجلد: ٤، ص: ٣٨٧.

حكيم عليم، وليست من قول البشر كالشعر والنثر فقال: (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ، لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ[٨٩]).

ج. إثبات آثار نعم الله في الكون، وقدرته المطلقة في الآيات [٧١-٧٦]:

أثبت الله تعالى آثار نعمه في هذا الكون، لأن اثبات النعم باعث على طاعة المنعم وعبادته وحده لا شريك له، فقال: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ[٩٠]) يوبخهم على عدم شكرهم بقوله (أَفَلَا يَشْكُرُونَ)، وإن تأمل هذه النعم يشعر المرء بقدرة المنعم سبحانه في خلقه و تذليله وتسخيره لكل ما على الأرض لهذا العبد الفقير، لذلك أبطل الله عز وجل قدرة الآلهة التي يعبدونها من دون الله لعجزها وانعدام قدرتها فقال: (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ، فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ ...)-أي إنك لست مرسلاً ولا شاعرٌ وكاهن ومفترٍ[٩١]- (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[٩٢]) أي إنهم ما يقولون ذلك إلا حسداً وهم يعلمون أنك رسول الله، وما جئت به هو الحق، وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرهم بنا وبلقائنا وديننا الحق[٩٣].

٢. طرق الجدل في إثبات حقيقة البعث في الآيات [٧٧-٨٣]:

وبعد أن انتهى التمهيد لإثبات حقيقة البعث شرع في عرض الجدل بطرق متنوعة لإفحام منكري البعث وإقناعهم بشتى الطرق، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ..... فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[٩٤]). يقول ابن عاشور: "عطف الكلام إلى جانب تسفيه أقوال جزئية لزعماء المكذبين بالبعث توبيخاً لهم على وقاحتهم وكفرهم بنعمة ربهم وهم رجال من أهل مكة أحسب أنهم كانوا يموهون الدلائل ويزينون الجدال للناس ويأتون لهم بأقوال إقناعية جارية على وفق أفهام العامة[٩٥]"، فجاء القرآن الكريم بالطرق التالية في جدالهم:

---

٨٩ يس: ٦٩-٧٠.

٩٠ يس: ٧١-٧٣.

٩١ الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مجلد: ٤، ص: ٣٩٠، بتصرف.

٩٢ يس: ٧٤-٧٦.

٩٣ الجزائري، **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مجلد: ٤، ص: ٣٩٠.

٩٤ يس: ٧٧-٨٣.

٩٥ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٧٣.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

أ- الاستفهام التقريري الأول في الآية [٧٧]:

قال (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ[٩٦]) أي خلقه من شيء مهين، لا يلقى له بال عند البشر. وهذه النطفة المهينة من مادة واحد متشابهة الأجزاء، ثم أنشأ منها أجزاءً وأعضاءً مختلفة في قوامها وأشكالها، وليس هناك أي تشابه بينها وبين أصلها وهي النطفة[٩٧]، فقال عنها سبحانه في سورة المؤمنون (ثُمّ أَنشَأْناهُ خَلْقاً آخَر[٩٨])، فمن باب أولى يكون الإحياء مرة أخرى من العظام أسهل وأيسر، حيث قال: (وهو الذي يَبْدأُ الخَلقَ ثم يُعيدهُ وهو أهْونُ عليه[٩٩])، ثم إنه لما خلق هذا الخلق، أودع فيه النطق، فلم يكن فقط ناطقاً بل صار في أعلى درجات النطق فهو (خَصِيمٌ) ، أي مجادل شديد الخصومة، كما قال ابن عاشور: "والخصيم فعيل مبالغة في معنى مفاعل، أي مخاصم شديد الخصام"[١٠٠]، ثم جعله في أعلى وأوضح ما تكون عليه الخصومة، فقال (خَصِيمٌ مُبِينٌ) ، ثم إن من قدر على بداءة الخلق أول مرة قدر على إعادته مرة أخرى يوم القيامة، كما قال تعالى في موضع آخر (يا أيُّها الناسُ إنْ كنتمْ في ريبٍ منَ البعثِ فإنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ[١٠١]).

ب- مقابلة القياس الباطل بالقياس الصحيح في الآيات [٧٨-٨٠]:

قال تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[١٠٢]).

فلنتعرف أولاً على سبب نزول هذه الآيات ثم نوضح كيفية هذا القياس، قال الألباني في صحيح السيرة النبوية[١٠٣]: "مشى أبي بن خلف بعظم بال قد أرم فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم؟ ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار"، وأنزل الله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ...[١٠٤]) إلى آخر السورة، فلزمَ الحقُّ بمنكبه[١٠٥]".

---

٩٦ يس: ٧٧.

٩٧ الرازي، **مفاتيح الغيب**، مجلد: ٢٦، ص: ٣٠٨، بتصرف.

٩٨ المؤمنون: ١٤.

٩٩ الروم: ٢٧.

١٠٠ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٧٤.

١٠١ الحج: ٥.

١٠٢ يس: ٧٨-٨٠.

١٠٣ الألباني، **صحيح السيرة النبوية**، ص: ٢٠١.

١٠٤ يس: ٧٨-٨٣.

١٠٥ الطبراني في مسند الشاميين كتاب ما انتهى إلينا من مسند نصر بن علقمة، باب ابن عائذ عن المقداد بن معد يكرب، رقم [٢٥٠٨]، مجلد: ٣، ص: ٣٨٠، وقال الحاكم في مستدركه: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه" مجلد:٢، ص: ٤٦٦.

قوله تعالى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ) أي قال الكافر مقالته متناسياً لخلقه الأول: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) وجدالهم هذا مبني على عناد وتعنت من غير برهان ولا حجة، فقالوا في موضع آخر (وقالوا أَءِذا كُنّا عِظاماً ورُفاتاً أَءِنّا لمبعوثون خَلْقاً جَديداً[١٠٦])، وقالوا (أَءِنّا لمردودونَ في الحافِرَة، أَءِذا كُنّا عِظاماً نَخِرة، قَالوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ[١٠٧])، فهي مكابرة بحتة من غير دليل يستندون إليه ولا رغبة في الوصول إلى الحق، وقولهم هذا جاء استفهاماً إنكارياً لا لعدم معرفتهم بالخالق وهو الله، فهم لا يريدون أن يعرفوا من القادر على ذلك بقدر ما يريدون استبعاد حدوثه أصلاً، **فأجابهم بقياسين صحيحين هما:**

الأول: هو قياس الإعادة على الابتداء فقال (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ[١٠٨]) فرد الله عز وجل قياسهم الباطل بقياس صحيح، حتى يكون أقرب لأفهامهم، لبيان بطلان قولهم، وصدق حقيقة البعث، كما قال في سورة الإسراء (فَسَيَقُولون مَن يُعِيدُنا قُل الّذي فَطَرَكُمْ أَوّلَ مَرّة[١٠٩]) ، فالذي فتّ العظم البالية أمام النبي صلى الله عليه وسلم مستدلاً على عدم البعث لكون العظم صار ترابًا بعد فتّه ولا يمكن أن يحيا بعد ذلك في زعمه، ناسيًا أن مبدأ خلقه كان ترابًا، إن قياسه قياس خاطئ، ينبئ عن عقل قاصر، فأجيب عنه بقياس صحيح يثبت عكس ما جاء في القياس الأول، وهو إمكانية بعث الناس من قبورهم كما خلقوا أول مرة، فقال (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ) لم يقل: (قل يحييها الله) بل قال الذي خلقها أول مرة من النطفة ومن التراب، فقابل الحجة بالحجة، والقياس الباطل بقياس آخر صحيح. ثم قال (وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) قال الزمخشري: "يعلم كيف يخلق، لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها"[١١٠].

الثاني: هو قيـــاس الغائب على الشاهد الذي يسمى أيضاً قياس التمثيل، يقيس الغائب وهو الإعادة بعد الموت على أمور معلومة للإنسان، ومشاهدة محسوسة، وهي استخـــراج النـــار من الشجر الأخضر الرطب؛ أي استخراج الشيء من ضده، حيث قال: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[١١١]) فإمكانية التقاء الحرارة بالرطوبة لينتجا نارًا، تثبت إمكانية إعادة العظام بعد أن يبلى، فأثبت البعث بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب، وقد ضرب مثلا بالشجر لاشتراكه في الحياة مع الإنسان، فرغم كونه شجراً فيه ما فيه من الخضرة والحياة التي تدل على الرطوبة والماء، ومع ذلك (فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ).

يقول ابن عاشور: "هذا الخلق من الغرابة إذ هو إيجاد الضد وهو نهاية الحرارة من ضده وهو الرطوبة، وهذا هو وجه وصف الشجر بالأخضر، إذ ليس المراد من الأخضر اللون وإنما المراد لازمه وهو الرطوبة لأن

---

١٠٦ الإسراء: ٤٩.

١٠٧ النازعات: ١٠-١٢.

١٠٨ يس: ٧٩.

١٠٩ الإسراء: ٥١.

١١٠ الزمخشري، جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، مجلد: ٤، ص: ٣١، باختصار.

١١١ يس: ٨٠.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

الشجر أخضر اللون ما دام حيا فإذا جف وزالت منه الحياة استحال لونه إلى الغبرة فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبت وحياته"[١١٢].

فالذي يخلق الشيء من ضده كالنار من الشجر الأخضر، قادر على خلقه من عناصره. وفيها أيضاً إثبات آثار نعمة الله عليهم، وتذكيرهم بآلائه الجليلة، حيث قال (جَعَلَ لَكُمْ) لأنه هو الذي أوجد هذه الأشجار والنباتات بعد أن أنزل المطر من السماء كما في قوله في سورة الواقعة (أَفَرَأَيتم النّارَ التي تُورونَ، ءَأَنتمْ أَنشأتمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الــمُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعلناها تَذْكِرَةً ومَتاعاً للمُقْوِينَ[١١٣])، فانتفعتم من الشجر أيما انتفاع، وأكلتم من ثمره، وأوقدتم من جذوعه، وهي وسيلة من وسائل الجدل القرآني لكي ينتبه الإنسان عن غيه، ويكف عن جبروته وعناده، وينهض من غفلته لّما يرى نعم الله عز وجل من حوله تنهمر بسؤال وبغير سؤال.

ت- الاستفهام التقريري الثاني في الآية [٨١]:

قال (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ[١١٤]) وهو قياس ثالثٌ يسمى (قياس الأولى) تقاس فيه إعادة بعث الإنسان على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، فالذي قدر على خلق سبع السماوات طباقاً بعظمها وتناهي دقتها وإبداع صنعها ما ترى فيها من فروج، وقدر على خلق سبع أرضين وجعل فيها رواسي من تحتها وقدر فيها أقواتها أليس بقادر على أن يخلق مثلهم، علاوة على أن الذي خلقهما من عدم من باب أولى قادر على الإعادة، ثم رد عليهم فقال (بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) وجاء بلفظ (الْخَلَّاقُ) بصيغة المبالغة على وزن فعّال لبيان كمال قدرته على الخلق، وقال (الْعَلِيمُ) بصيغة مبالغة على وزن فعيل فهو يعلم ما كان وما يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، علمه محيط بكل شيء، وهو علام الغيوب. قال ابن عاشور: "هذا استفهام تقريري لأن هذا الدليل فيه من الوضوح ما لا يسع المقر إلا الإقرار به، فإن البديهة قاضية بأن من خلق السماوات والأرض هو على خلق الناس بعد الموت أقدر"[١١٥]، قال تعالى: (لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[١١٦]). ثم قرر قدرة الله جل وعلا المطلقة، مؤكداً لنتيجة هذا الجدال وهو صحة البعث والإعادة، واضعاً أسسا ودعائماً تبهت كل منكر للبعث معاند للحق، **وهما أساسان:**

الأساس الأول: الإرادة المطلقة لله عز وجل في الآية [٨٢]:

١١٢ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٧٧.

١١٣ الواقعة: ٧١-٧٣.

١١٤ يس: ٨١.

١١٥ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٧٨، بتصرف.

١١٦ غافر: ٥٧.

قال (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[١١٧]) كقوله تعالى (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[١١٨])، ليبين سبحانه كمال قدرته بأقصر كلمة، فأمره بين الكاف والنون، يقضي به ما شاء، ويأمر به بما شاء، ويعطي به من شاء، ويمنع به من شاء، ولا معقب لحكمه، قال ابن عاشور: "هذه فذلكة الاستدلال، وفصل المقال، فلذلك فصلت عما قبلها كما تفصل جملة النتيجة عن جملتي القياس، فقد نتج مما تقدم أنه تعالى إذا أراد شيئا تعلقت قدرته بإيجاده بالأمر التكويني المعبر عن تقريبه بـــ(كن) وهو أخصر كلمة تعبر عن الأمر بالكون، أي الاتصاف بالوجود"[١١٩]. وفي قوله (إِنَّمَا أَمْرُهُ) جاء بأداة التوكيد (إنّ) محققاً ومؤكداً على كمال قدرته ومشيئته وإرادته بشكل عام، وقدرته على البعث بشكل خاص، ليتيقنوا بعد الشك، ويتحققوا بعد التيه الذي هم فيه، ويؤمنوا بعد الجحود والإنكار.

الأساس الثاني: الملك التام لله عز وجل الآية [٨٣]:

قوله تعالى (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[١٢٠]) كقوله في موضع آخر (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ[١٢١])، فماذا يعجز من بيده ملكوت كل شيء؟ أيعجزه إعادة خلقكم وبعثكم من جديد؟ كيف تُخدعون وتُصرفون عن الحق؟ بل له القدرة التامة الكاملة فهو القادر القدير المقتدر، قال ابن عاشور: "الفاء فصيحة-في (فَسُبْحَانَ)-أي إذا ظهر كل ما سمعتم من الدلائل على عظيم قدرة الله، وتفرده بالإلهية، وأنه يعيدكم بعد الموت؛ فينشأ تنزيهه عن أقوالهم في شأنه المفضية إلى نقص عظمته لأن بيده الملك الأتم لكل موجود"[١٢٢].

وعلى أساس الدعائم والأسس السابق ذكرها، فإنه مما لا شك فيه أن البعث حقيقة ثابتة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر، كما أن المرجع والمآل بعد الموت إلى الله تعالى، وأنه حقيقة أثبتها الله فختم السورة بـــ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

وتقديم الجار والمجرور (وَإِلَيْهِ) على الفعل (تُرْجَعُونَ) لبيان زيادة الاهتمام، وكذا لحصر واختصاص المرجع والمصير إليه سبحانه، فلا مهرب يومئذ من أمر الله، ولا مفر من عقابه إذا استمريتم بالعناد والتكذيب بالبعث، كما أن فيه تهديد ووعيد لهم كقوله تعالى في موضع آخر (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ

---

١١٧ يس: ٨٢.

١١٨ البقرة: ١١٧.

١١٩ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٧٩.

١٢٠ يس: ٨٣.

١٢١ المؤمنون: ٨٨-٨٩.

١٢٢ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٨٠.

AL-BASIRAH
Volume 7, No 2, pp. 87-108, Dec 2017
https://doi.org/10.22452/basirah.vol7no2.6

أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ[١٢٣])، قال ابن عاشور: "(وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) عطف على جملة التسبيح عطف الخبر على الإنشاء فهو مما شملته الفصيحة، والمعنى: قد اتضح أنكم صائرون إليه غير خارجين من قبضة ملكه وذلك بإعادة خلقكم بعد الموت[١٢٤]".

الخاتمة

إن القرآن الكريم ساهم في بناء صرح علم الجدل؛ فهو سيد الجدل بلا منازع، حيث خاطب الإنسان ذا الطبائع المختلفة والمدارك، هادفاً إلى إجلاء الحق، وإفحام الخصم، بأساليب بديعة تقنع العقل وتمتع الحس.

وبعد تطواف وتجوال في موضوع الجدل في القرآن وتأملات في أسلوبه مع منكري البعث الآخذ بلب العقول، المستميل لشعث القلوب بوسائل وطرق متنوعة، يهدي بها المخاطبين، ويبهت بها المعاندين، ولو اختلفت طبائعهم، ولو أخذتهم العزة بالإثم عن الاعتراف بالحق والاقرار به، فالحجج القرآنية لما تأتي بصورها وطرقها المعجزة تجابه نزعات هذا الإنسان الذي فطر على حب المجادلة، فتخرجه من ظلمة الغفلة والجهل، وتجتثه من حفرة العناد والكبر، فيستنير قلبه بنور الحق وينير به من حوله (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[١٢٥]).

وإليك الآن بعض النتائج الرئيسة التي توصلنا إليها من خلال دراستنا وتعايشنا في رحاب الموضوع، وهي:

١. اختلف العلماء في المعنى اللغوي للجدل، فقيل هو مشتق من الجَدْل إما بمعنى شدة الفتل، أو بمعنى الصَّرْع، وقيل الجَدَل مصدر بمعنى اللد والخصومة أو مقابلة الحجة بالحجة.
٢. تختلف المجادلة عن المحاجة والمناظرة والمباحثة والمكابرة والمحاورة، في جوانب وتشترك معها في أخرى، أما المماراة فهي مرادفة للمجادلة عند من قصر المراء على النقاش والخصومة، ومختلفة عنها عند من جعل الشك والريبة من مستلزمات المراء.
٣. اختلف العلماء في تعريف الجدل فمنهم من عرفه بحسب أصله، ومنهم من عرفه بحسب طبيعته، ومنهم من عرفه ببيان آدابه وضوابطه، ومنهم من ربط بين تعريف الجدل والغاية منه.
٤. ورد الجدل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، بعضه جاء مذموماً، وبعضه ممدوحاً، والبعض الآخر لم يكن في سياق الذم ولا المدح فهو مباح، ومن هنا اشتقت أنواع الجدل.

---

١٢٣ يونس: ٤.

١٢٤ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، مجلد: ٢٣، ص: ٨٠.

١٢٥ الأنعام: ١٢٢.

٥. للجدل في القرآن طرق عديدة، بينا بعضها في دراسة تفصيلية للجدال مع منكري البعث من خلال الآيات [٤٨-٨٣] من سورة يس.

المصادر والمراجع

إبراهيم مصطفى. أحمد الزيات. حامد عبد القادر. محمد النجار. **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية بالقاهرة. دار الدعوة.

إبراهيم بن إسماعيل الأبياري. **الموسوعة القرآنية**. مؤسسة سجل العرب. ١٤٠٥ه.

ابن الأثير مجد الدين. **النهاية في غريب الحديث والأثر**. ١٩٧٩م. العدد: ٥مجلدات. تحقيق: طاهر أحمد الزاوى. محمود محمد الطناحي. بيروت. المكتبة العلمية.

ابن حبان محمد. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**. الطبعة الأولى. ١٩٨٨م. العدد: ١٨مجلداً. ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي. تحقيق وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط. بيروت. مؤسسة الرسالة.

ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. الطبعة الأولى. ١٤١٩هـ. العدد: ١٩مجلداً. تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري. السعودية. دار العاصمة-دار الغيث.

ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

ابن عاشور محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. العدد: ٣٠مجلداً. تونس. الدار التونسية للنشر.

ابن فارس أحمد. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ١٩٧٩م. العدد: ٦مجلدات. دار الفكر.

ابن ماجه محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**. العدد:٢. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية. فيصل عيسى البابي الحلبي.

ابن منظور جمال الدين. **لسان العرب**. الطبعة الثالثة. ١٤١٤هـ. العدد: ١٥مجلداً. بيروت. دار صادر.

أبو داود سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**. العدد: ٤مجلدات. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا-بيروت. المكتبة العصرية.

أحمد ادريس الطعان. **منهجية الحوار الجدلي في القرآن الكريم والسنة النبوية**. دمشق. كلية الشريعة.

أحمد بن محمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. الطبعة الأولى.٢٠٠١م. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون. إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي. مؤسسة الرسالة.

أحمد بن محمد الفيومي. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. العدد:٢. بيروت. المكتبة العلمية.

أحمد مختار عبد الحميد عمر. **معجم اللغة العربية المعاصرة**. بمساعدة فريق عمل. الطبعة الأولى. ٢٠٠٨م. العدد: ٤مجلدات. عالم الكتب.

الألباني محمد ناصر الدين. **صحيح وضعيف سنن ابن ماجة**. برنامج منظومة التحقيقات الحديثية. الإسكندرية. مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

الألباني محمد ناصر الدين. **صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م. العدد: مجلدين. الرياض. دار الصميعي للنشر والتوزيع.

الألباني محمد ناصر الدين. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**. برنامج منظومة التحقيقات الحديثية. الإسكندرية. مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

الألباني محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب**. الطبعة الأولى. ٢٠٠٠م. العدد: ٣مجلدات. المملكة العربية السعودية. مكتبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع.

الألباني محمد ناصر الدين. **صحيح السيرة النبوية**. الطبعة الأولى. عمّان. المكتبة الإسلامية.

الباجي أبو الوليد. **المنهاج في ترتيب الحجاج**. تحقيق: عبد المجيد تركي. دار الغرب الإسلامي.

البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. **مسند البزار. البحر الزخار**. الطبعة الأولى. ٢٠٠٩م. العدد: ١٨مجلداً. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله (١- ٩) وعادل بن سعد (١٠ - ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (١٨). المدينة المنورة. مكتبة العلوم والحكم.

البغوي محيي السنة. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ. العدد: ٥مجلدات. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

تاج العارفين عبد الرؤوف. **التوقيف في مهمات التعاريف**. الطبعة ١. ١٩٩٠م. القاهرة. عالم الكتب.

الترمذي محمد بن عيسى. **الجامع الكبير. سنن الترمذي**. ١٩٩٨م. العدد: ٦مجلدات. تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت. دار الغرب الإسلامي.

الجزائري أبو بكر. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. الطبعة الخامسة. ٢٠٠٣م. العدد: ٥مجلدات. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة.

الحاكم محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**. الطبعة الأولى. ١٩٩٠م. العدد: ٤مجلدات. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت. دار الكتب العلمية.

ديوان الهذليين. الشعراء الهذليون. ب ط. ١٩٦٥م. العدد: ٣مجلدات. ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة.

الرازي فخر الدين. **التفسير الكبير**. الطبعة الثالثة. ١٤٢٠هـ. بيروت. دار إحياء التراث العربي.

الزمخشري محمود بن عمرو جار الله. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. الطبعة الثالثة. ١٤٠٧هـ. العدد: ٤مجلدات. بيروت. دار الكتاب العربي.

السعدي عبد الرحمن بن نجم. **استخراج الجدال من القرآن الكريم**. الطبعة الثانية. ١٤٠١هـ. تحقيق: الدكتور زاهر بن عواض الألمعي. مطابع الفرزدق التجارية.

سعيد فاهم. **معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة السور السبع الطوال أنموذجاً –دراسة دلالية معجمية–**. رسالة ماجستير. الجزائر. جامعة مولود معمري. ٢٠١١م.

السندي محمد بن عبد الهادي. **حاشية السندي على سنن ابن ماجه**. بيروت. دار الجيل.

السيوطي جلال الدين. **الإتقان في علوم القرآن**. ١٩٧٤م. العدد: ٤مجلدات. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الطبراني سليمان بن أحمد. **مسند الشاميين**. الطبعة الأولى. ١٩٨٤م. العدد: ٤مجلدات. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. بيروت. مؤسسة الرسالة.

الطبراني سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**. الطبعة الثانية. العدد: ٢٥مجلداً. المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. القاهرة. مكتبة ابن تيمية.

الطبري محمد بن جرير. **جامع البيان في تأويل القرآن**. الطبعة الأولى. ٢٠٠٠م. العدد: ٢٤مجلداً. تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة.

عائشة يوسف المناعي. **الجدل القرآني عند نجم الدين طوفي**.

الفراهيدي الخليل بن أحمد. **كتاب العين**. العدد: ٨مجلدات. تحقيق: مهدي المخزومي. وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

القاري علي بن سلطان محمد. **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**. الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م. العدد: ٩مجلدات. بيروت. دار الفكر.

القطان مناع بن خليل. **مباحث في علوم القرآن**. الطبعة الثالثة. ٢٠٠٠م. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. ١٩٩٤م. العدد: ١٠مجلدات. تحقيق: حسام الدين القدسي. القاهرة. مكتبة القدسي.

الواحدي علي بن أحمد. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**. الطبعة الأولى. ١٩٩٤م. العدد: ٤مجلدات. تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود. علي محمد معوض. أحمد محمد صيرة. أحمد عبد الغني الجمل. عبد الرحمن عويس. قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي. بيروت. دار الكتب العلمية.

يوسف عمر العساكر. **الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته**. جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا–دراسة لغوية دلالية–. رسالة ماجستير. جامعة الجزائر. ٢٠٠٥م.